استثقال توالي الصوت لنفسه في أبنية ألفاظ العربية

علي أحمد النبوت – جامعة مصراتة – ليبيا
dean@lt.misuratau.edu.ly

مُلَّخصُ:
مدار هذا البحث، استثقال منطق العربية لتوالي الصوت لنفسه في حياكة اللفظ الواحد، والسبيلُ الذي يسلكه تجنّبا لذلك؛ كلما مسّت الحاجة، ودعت الأسباب؛ على مبدأ التيسير والخفّة طلبا للجزالة والفصاحة والاستحسان.
وعليه نبا منطق العربية الفصيح عن ذلك التوالي، وما يسببه من سماجة واستثقال فجنح إلى بدائلَ أخرى؛ أصواتٍ كانت، أو حركات طِوال.
ومجاورة الصوت لنفسه، أو "توالي الأمثال" كما سمّاه علماء العربية من قبل، قد يكون لضرورة البناء؛ ومع ذلك يُستثقل، وقد يكون لغير ضرورة فيستقبح، وسبيل المنطق حينها البحث عن بديل أخف وأيسر؛ حيث لا مساس ولا التباس، وذلك الضابط في الاعتبار.

الكلمات المفتاحية: منطق العربية، الصوت، حياكة اللفظ.

مقدمة:
الأصوات مادة اللغة؛ منها تتألّف، وبها تأتلف، صيغا ومعانيَ ودلالات. والأصوات في منطق العرب ثلاثة أنواع: صحاح، ومعلولة، وأصوات هي بين ذاك. فأمّا الصحاح (وهي كل الأصوات ما عدا الواو والياء والنون والهمزة والهاء) فهي الأصوات القوية التي لا تستثقل بطبيعتها متحرّكة؛ كانت أو ساكنة ؛ بل بما قد يجاورها من الأصوات؛ مماثلة أو متقاربة أو متشابهة، فتمس الحاجة حينئذٍ إلى بدائل أخرى أخفّ وأيسر أصواتٍ أو حركات. وأمّا المعلولة فصوتا (الواو والياء) فهما خالصا الاعتلال، مستثقلان بطبيعتهما وسط اللفظ ومنتهاه. وأمّا التي هي بين بين فهي (النون والهمز والهاء) فهذه الأصوات وإن عُدّت صحيحة غير أنّ لها نصيبا من الاعتلال.
والعربية في صناعة ألفاظها تنأى عن مواضع الاستثقال كلّما مست الحاجة ودعت الأسباب، وتكاد تنحصر أوجه استثقال اللفظ بالأصوات في علة "التوالي" سواء أكانت الأصوات صحاحا أو بين بين أو معلولة، وهذا التوالي ثلاثة أنواع:

– توالي الصوت لنفسه، أو ما عرف بـ"توالي الأمثال".
– وتوالي الصوت لما يقاربه في المخرج.
– وتوالي الصوت لما يشابه في الطبيعة.

فمنطق العربية يستثقل في بناء اللفظ تجاور المثل، والمتقارب، والمتشابه، وما يسببه كلّ أولئك من سماجة في المنطق وتنافر بين الأصوات. ومبدأ التوالي مستثقل عموما؛ لأنه تكرارٌ واجترار، والمنطق الفصيح لا يستحسنه، ولا يعدم العدول عنه، وتلك من أدلة فصاحة اللسان. وبحثنا هذا إنما نخصّصه للنوعِ الأوّل؛ تلحقه الأنواع الأخرى أبحاثًا أخرى إن شاء الله.

استثقال توالي الصوت لنفسه

ينأى منطق العربية عن توالي الصوت لنفسه في اللفظ الواحد، أو فيما هو كاللفظ الواحد. وتوالي الصوت لنفسه، أو "المِثل" كما يسمونه قد يكون لضرورة البناء؛ ومع ذلك يُستثقل وقد يكون لغير ضرورة وهو مستقبح.

كتب ابن فارس في الصاحبي: "مما يُفسد الكلام ويَعيبُه الخزْمُ ولا نريد به الخزْم المستعمل في الشعر، وإنّما نريد قولَ القائل:

ولئنْ قومٌ أصابوا غِرَّةً وأصبْنا من زمان رَقَقا
لَلَقَدْ كُنَّا لدى أزمانِنا لِشَريجَيْنِ لباسٍ وتُقى

فزاد لاماً عَلَى "لقد" وهو قبيح جداً"[1] وأردف: "يزعُم ناسٌ أنّ هذا تأكيد كقول الآخر:

فَلا والله لا يُلْفَى لِما بي ولا لِلِما بهم أبداً دَوَاءٌ

فزاد لاماً عَلَى "لِمَا" وهذا أقبح من الأول، فأمّا التأكيد فإن هَذَا لا يزيد الكلام قُوة، بل يقبّحه. ومثله قول الآخر:

وصالياتٍ كَكَما يوثفين".[2]

وتوالي الأمثال مستثقل مرّة أو مرّتين؛ نصّ على ذلك ابن جني، وابن خالويه، والسيوطي وابن إيّاز. كتب ابن جني: "وأمّا (تعللت) و(هججا) ونحو ذلك مما اجتمعت فيه ثلاثة أمثال فخارجُ على أصله وليس من حروف العلّة فيجبَ تغييره"[3]. وكتب ابن خالويه: "ليس في كلام العرب: كلمة تامة حروفها كلها من جنس واحد فأدغم استقلالا، إلا حرفين، غلام بَبَّةٌ، أي سمين" وأنشد:

لأنكِحنّ ببّه جارية خدبه
تَبُذُ أهل الكعبه

[1] ابن فارس، الصاحبي:39.
[2] نفسه.
[3] ابن جني، الخصائص. 235/2.

والحرف الثاني: قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لئن بقيت إلى قابل لأجعلنّ الناس بَبَّابًا واحدًا أساوي بينهم في الرزق والأعطيات".[4] وكتب السيوطي: "ليس في كلامهم كلمة فيها ثلاثة أحرف من جنس واحد، ليس ذلك من أبنيتهم استثقالا إلا في حرفين: غلام بَبَّة أي سمين وقول عمر بن الخطاب: لئن بنيت إلى قابل لأجعلن الناس بَبَّاناً واحدا؛ أي: أساوي بينهم في الرزق والأعطيات"[5]. وجاء عن ابن إياز قوله: "اجتماع المثلين مستثقل"[6]. وكتب أيضا يعلل لـ "كوكب وديدن "بأنه إنما فصل بين الأمثال فيهما استثقالا لتواليهما[7].

ومما نسوقه مثلا لاستثقال توالي الصوت لنفسه قولهم: "تسرّيت، وتظنيت، وتقصيت من القصة، وأمليت"[8]، وإنّما حدها: "تسرّرت وتظنّنت، وتقصّصت وأمللت" غير أنّ المنطق كره حالة تجاور الصوت لنفسه، فعدل عنها إلى التغاير، ولم يكن (وهو يطرح صوتا) إلا أن يأتي بأخف الأصوات بديلا، وليس أخف من (الياء) صوتا وقد أشار إليه سيبويه في باب (ما شذ فأبدل مكان اللام والياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد)[9]. وقال به المبرد، فكتب: "وقوم من العرب إذا وقع التَّضْعِيف أَبدلوا الياء من الثَّانِي لئلاَّ يلتقي حرفان من جنس وَاحِد"[10]، وتمثل بـ "تقضَّيت في تقضَّضت وأَمليت في أَمللت وتسرّيت في تسرّرت".

وعلى ذلك يستثقل منطق العرب الفصيح موالاة الصوت الصحيح لنفسه، وعليه قول سيبويه: "كلما تباعدت المخارج ازداد حسناً"[11] وسبيل المنطق حينها

---

[4] ابن خالويه، ليس في كلام العرب: 36 - 38.
وفي الشعر روايات أخرى، (الزبيدي، تاج العروس، باب "ببب").
وكذا في الحديث. (الزبيدي، تاج العروس، باب "ببب" والهروي، تهذيب اللغة. 424/15 وابن الجوزي، غريب الحديث.52/1، والحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.35/1).

[5] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. 84/2.
و"ببة" دلالاته شتى: منها حكاية صوت الصبِي، ومنها بدين، ومنها أنه صفة للأحمق. (الزبيدي، تاج العروس. باب "ببب" وابن الجوزي، غريب الحديث.52/1) أمّا "ببّانا" فقد أجمع أهل اللغة على أنّه ليس بعربي محض ومعناه: "متساوون" (الزبيدي، تاج العروس، باب "ببب" والهروي، تهذيب اللغة.424/15 وابن الجوزي، غريب الحديث. 52/1، والحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.35/1).

[6] ابن إياز، شرح التعريف بضروري التصريف:107.

[7] نفسه، بتصرف.

[8] سيبويه. 424/4.

[9] نفسه.

[10] المبرد، المقتضب.246/1.

[11] سيبويه. 446/4.

البحث عن بديل أخف وأيسر بما يحافظ على المعنى، ولا يفسد اللفظ أو يوقعه في الالتباس، ومسلكه حذف أحد الصوتين والتعويض عنه بالتشديد في الآخر. أمّا حين الثقلة أو الالتباس فإنّ للمنطق بدائلَ أخرى أخف هي: (الياء أو النون أو المد بأنواعه). وكون هذه الأصوات هي البدائل فلخفتها ولكثرة ما يستعين بها المنطق علامات على دلالات تقصد. وعلى ذلك يستغني المنطق عن الصوت السابق حين التوالي، ويعوض عنه بالتشديد في الآخر, والذي عليه الأمّة أنه إدغام، أما ما نراه فهو حذفٌ وتعويضٌ؛ كما يحكيه المنطق. وعندهم أن الإدغام لا يكون إلا بتسكين السابق ثم إدغامه في اللاحق كما في " شدّ ومدّ" فهما من "فعل" أي: "شدَدَ ومدَدَ" فعلى مذهبهم سُكّن السابق فصار "شَدْدَ" ثم أدغم في اللاحق فصار "شَدَّ" ومثله نظيره "مدّ".

كتب ابن جني في إبدال (الياء) من (الصاد) في "تقصّيت": "أخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب قال قال اللحياني قصّيت أظفاري في معنى قصصتها فهذا مثل تظنّيت، أبدلت الصاد الثالثة ياء كراهية للتضعيف"[12]، وأردف:" وقد يجوز عندي أن يكون قصيت فعلت من أقاصي الشيء لأنّ أقاصيه أطرافه والمأخوذ من الأظفار إنما هو أطرافها وأقاصيها فلا يكون في هذا بدل". وكتب في إبدال (الياء) من (الضاد) في "تقضضت": "أخبرنا أبو علي قال، قال الأصمعي وأبو عبيدة في قول العجاج:

(تقضي البازي إذا البازي كسر...)

هو تفعل من الانقضاض وأصله تقضَّض فأبدلت الضاد الآخرة ياء لما ذكرت لك وقالوا: تقضيت من الفضة وهو مثله"[13]. وعليه فإنّ دائرة الاستثقال إنّما هي في توالي الصوت لنفسه، وقد عبر عنه سيبويه بـ "التضعيف" ودرج عليه من جاء بعده؛ المبردُ وغيره، وسبيل تيسيره عندهم بما اصطلحوا عليه بـ "الإدغام".

كتب سيبويه: "اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون من موضع واحد؛ ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشيءٍ من الثلاثة على مثال الخمسة نحو ضربين ولم يجيء فعلَّلٌ ولا فَعُلَّلٌ إلا قليلا، ولم يبنوهن على فُعالِل كراهية التضعيف، وذلك لأنّه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ولا تكون مهلةٌ، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعةً واحدة، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك"[14].

---

[12] ابن جنّي، سر الصناعة. 759/2.

[13] نفسه.

[14] سيبويه. 417/4.

وأضاف: "وأمّا بنو تميم فيسكنون الأول ويحركون الآخر ليرفعوا ألسنتهم رفعةً واحدة وصار تحريك الآخر على الأصل، لئلا يسكن حرفان، بمنزلة إخراج الآخرين على الأصل لئلا يسكنا، وقد بينا اختلاف لغات أهل الحجاز وبني تميم في ذلك واتفاقهم، واختلاف بني تميم في تحريك الآخر ومن قال بقولهم، فيما مضى في الأفعال ببيانه"[15]. وبه قال المبرد، فكتب: "اعلم أنّ التّضْعيف مستثقل وأن رفع اللسان عنه مرّة واحدة ثم العودة إليه ليس كرفع اللّسان عنه وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فصل بينهما فلذلك وجب"[16]، فالتضعيف عندهم هو توالي الصوت نفسه، وهو لا جرم ضرب من التكرار، والتكرار مستثقل ذلك عرف في اللغة كما هو في عرف في الحياة، وليست اللغة إلا صورة للحياة. وعليه فالتضعيف في عرفهم هو أنْ يتوالى الصوت الواحد في اللفظ الواحد، فيعمد المنطق في هذه الحالة إلى ما يسمونه "الإدغام" وهو أن تُدخل الصوت الأوّل في الذي يليه فينطقان مُدمجين بالتشديد بحيث ينطق بالأول ساكن بنزع حركته منه، ثم ينطق الآخر متحركا، وعلى هذا يفترضون أن التشديد إنّما هو في الأصل إدغام صوت في نفسه؛ السابق ساكن واللاحق متحرّك.

كتب سيبويه: "أمّا ما كانت عينه ولامه من موضعٍ واحد فإذا تحركت اللام منه وهو فعلٌ ألزموه الإدغام، وأسكنوا العين؛ فهذا متلئبٌّ في لغة تميم وأهل الحجاز، فإن أسكنت اللام فإن أهل الحجاز يجرونه على الأصل، لأنه لا يسكن حرفان"[17]. ومن الأمثلة التي ساقها سيبويه على كراهية توالي الأمثال ومن ثم الإدغام، مُسْتَرِدٌّ ومُسْتَعِدٌّ ومُمِدٌّ ومُمّدٌّ ومُسْتَعَدٌّ، وإنما الأصل مُسْتَعْدِدٌ ومُمْدِدٌ ومُسْتَعْدِدٌ وكذلك مُدَقٌّ والأصل مُدْقُقٌّ ومَردٌّ وأصله مُرْدَدٌ"[18]. ونظيره كذلك وفق ما أورده ابن جني "يستعدّ في يستعدِد"[19] حيث استُثقل التوالي، فحذف الأول وعُوّضَ عنه بالتشديد في الآخر. غير أنّهم قد يأتون باللفظ على أصله سواء الصحيح أو المعلول، وإن كان مستثقلا غير أنّه غير متعذر النطق، مُستطاع.

كتب سيبويه: "وقد يبلغون بالمعتلّ الأصل فيقولون رادد في رادّ، وضننوا في ضنّوا"[20]. ونلحظ كيف نعت سيبويه كل من "رادّ وضنوا" بالمعتل مع أنّها من

[15] سيبويه. 418/4.
[16] المبرد، المقتضب.246/1.
[17] سيبويه. 417/4.
[18] نفسه. 418/4.
[19] ابن جني، الخصائص. 257/1.
[20] سيبويه.29/1.

الصحيحة؛ وكأنه عزا الظاهرة كلها إلى الاعتلال، وهو لا جرم وصف حصيف إذ التغيير كله اعتلال، وقد صدر عنهم أنّ" الإدغام نوع من الإعلال"[21]. وقد تمثل سيبويه بقول: قَعْنَبُ بن أمّ صاحب[22]:

مَهْلاً أَعاذِلَ قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضَنِنوا

حيث جاء بالفعل على أصله بتوالي الأمثال وفصيحه ضنوا بنون واحدة كراهية لتوالي نونين. وفيما يلي بيان تفصيل لتوالي الصوت نفسه تدرّجًا من حيز الفم إلى حيز الحلق.

فأمّا (**الباء**) أول الأصوات ابتداءً في سلّم الأصوات، فهو مع خفته ينسحب عليه ما ينحسب على غيره من الاستثقال؛ وإن كان ورد عنهم فردٌ منه؛ غير أنه على الندرة، ومنه قولهم غلام بَبَّةٌ أي سمين وبَبَّابًا[23].

وشواهد استثقال توالي (الباء) عديدة منها "قولهم في غيرِ الضرورة ضَبِب البلد كثر ضِبَابة"[24] وإنما الصواب "ضب البلد"[25]. وعليه يستثقل توالي (الباء) في اللفظ الواحد إلا أن يكون الأول علامة ليس من الأصل نحو: "بِبَكة" وهذا من المسموع الفرد الذي لا نظير له.

ومن شواهد استثقال توالي الباء قولهم: "الدوابَّ والشوابّ" إنّما أصله "الدوابب والشوابب" كتب ابن جني: "أصل الدوابّ والشوابّ الدوابِب والشوابِب"[26].

ومن أوجه استثقال (الباء) متواليا لنفسه، جمع "طبيب" و"حبيب" فهو فعيل وقياسه في الجمع فُعلاء كـ"شريف وشرفاء" و"ظريف وظرفاء" وعليه فإن صيغة جمعه على الأصل "طُبباء وحُببباء" غير أن المنطق لما كان يستثقل توالي (الباء) عدل عن الوزن مطلقا إلى "أفْعِلاء" ثم إن الاستثقال لم يزل في المنطق بسبب توالي الباء فتصرف في اللفظ بأن سحب حركة الباء الأولى إلى الطاء فصار "أفِعْلاء" أو أفلاّء" بتضعيف اللام على الوزن الصوتي، فصارت صيغ الجمع إلى "أطِبّاء وأحِبَّاء" ومن شواهده قول الشاعر:

فلو أنَّ الأطِبَّا كان حَوْلِي وكان مع الأطباء الأُسَاةُ

---

[21] ابن إياز، شرح التعريف بضروري التصريف: 242.

[22] سيبويه. 29/1.

[23] ابن خالويه، ليس في كلام العرب: 36 - 38. والسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. 84/2.

[24] ابن جني، الخصائص. 330/1.

[25] نفسه.

[26] نفسه. 162/1.

كتب الأنباري على لسان البصريين: "الأصل في طبيب أن يجمع على طُبَبَاء على مثال فعلاء، كشريف وشرفاء وظريف وظرفاء؛ إلا أنه اجتمع فيه حرفان متحركان من جنس واحد فاستثقلوا اجتماعهما، فنقلوه من فعلاء إلى أفعلاء فصار أَطْبِبَاء، فاستثقلوا أيضا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، فنقلوه كسرة الباء الأولى إلى الطاء، فرارًا من الاستثقال، وأدغموا الباء في الباء، فصار أطِبَّاء"[27] وأردف "وكذلك حكم ما جاء على هذا المثال"[28]. وأورد الأنباري ـ أيضا ـ على لسان الأخفش: "والذي يدل علي ذلك أنهم قالوا: طَبِيبٌ وأطِبَّاء، وحبيب وأحبّاء، والأصل فيه طُبَبَاء وحُبَبَاء، نحو: ظريف وظرفاء، وشريف وشرفاء إلا أنّه لما اجتمع فيه حرفان متحركان من جنس واحد واستثقلوا اجتماعهما فنقلوه عن فُعَلاء إلى أفْعِلاء، فصار أطببباء، فاجتمع فيه أيضا حرفان متحركان من جنس واحد، فنقلوا حركة الحرف الأول إلى الساكن قبله فسكن فأدغموه في الحرف الذي بعده، فقالوا: أطِبَّاء، فنقلوه من فُعَلاء إلى أفْعِلاء"[29]. وعلى ذلك (**الفاء**) قسيم (الباء) في الحيّز، فينسحب عليه ما ينسحب على غيره من استثقال توليه لنفسه؛ أمّا قولهم: "رجلٌ ضفففٌ وقومٌ ضففو الحال"[30] فالوجه عند سيبويه "رجلٌ ضفٌّ وقومٌ ضفو الحال"[31] وعند الفارسي أنّه على الأصل (المرفوض) والإضرار[32].

و(**الميم**) كذلك يستثقل توليه؛ ولم أقف في المعجمات على لفظ توالى فيه الميم، ومن شواهده قولهم: أصمّ؛ إنّما الأصل أصمم، كتب ابن جني: "أصل الأصمّ أصَمْمَ"[33] بل إنّ منطقهم استثقل فيه التشديد أيضا، ومنه قولهم: "فمي" بالتخفيف وحقه "فمِّي" بالتشديد[34].

و(**الواو**) كذلك مستثقل توليه؛ إذ ليس من منطق العرب الفصيح لفظ والى فيه (الواو) نفسه ولا غرو فإنه بطبيعته صوت ثقيل يستلزمك عند النطق به ضم الشفتين وقد عبر سيبويه عن ضم الشفتين بقوله: "ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسدك"[35] كما نص ـ أيضا ـ على أن توالي الواو مستكره[36].

---

[27] الأنباري، الإنصاف. 753/2 - 754.
[28] نفسه.
[29] الأنباري، الإنصاف. 814/2.
[30] سيبويه. 420/4، والفارسي، العضديات: 44.
[31] سيبويه. 420/4.
[32] الفارسي، العضديات: 44.
[33] ابن جني، الخصائص. 162/1.
[34] أبو حيّان، ارتشاف الضرب. 1854/4.
[35] سيبويه. 4 / 171.

و(الواو) قسيم (الياء) في الاعتلال الخالص وهو أثقل وقد نصّ سيبويه على "أن الواوات أثقل عليهم من الياءات"[37] وبه قال ابن الوراق والاشموني[38]. وإذا كان (الواو) يستثقل منفردا، فأحرى به على المنطق أن يستثقل متواليا، وفي ذلك كتب سيبويه:" إذا التقت الواوان أولا أبدلت الأولى همزة، ولا يكون فيها إلا ذلك؛ لأنهم استثقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا، وكان ذلك مطّردا، إن شئت أبدلت وإن شئت لم تبدل، لم يجعلوا في الواوين إلا البدل، لأنهما أثقل من الواو والضمة"[39] وكتب ابن جني: "إذا التقت واوان في أوّل الكلمة لم يكن من همز الأولى بد"[40].

ومن شواهد استثقال توالي الواو أول الكلمة "تولج" كتب ابن جني: "لم يقولوا وولج البتة كراهة اجتماع الواوين في أول الكلمة وإنما قالوا تولج"[41]. ومنه أيضا "أولى" والأصل "وولى" مشتق من "وأل" إذا لجأ فلما انضمت الواو أبدل منها همزة، كما فعل في "وجوه ووقتت[42].

وكذلك هي أصوات اللسان بين الأسنان (**الذال والظاء والثاء**) فـ (**الذال**) مأبيّ توالية، ولم تنقل إلينا المعجمات لفظا توالى فيه (الذال) إلا حرفا واحدا هو: "بَذِذْتَ تَبَذُّ بَذَذاً وبَذاذةً وبُذُوذَةً: رثَّت هيئتُك وَسَاءَتْ حَالَتُكَ"[43] وهومع وروده فردا مستثقل. و(**الظاء**) كذلك مستثقل توالية؛ إلا ما ورد على الندرة، كالذي أورده ابن القطاع في كتابه الأفعال من قوله: "حظِظْت في الأمر، وحُظِظْت حظًّا بخت لي"[44] وقيل "الحُظَظُ والحُظُظُ لغة في الحضض، وهو ضرب من الكحل[45]. وهو لفظ فرد مستثقل. وكذلك (**الثاء**) يستثقل متواليا إذ هو بطبيعته صوت ثقيل، وعليه لم تتوالى في منطق الثاء إلا نادرا نحو: "أثّث يؤثّث" "إذا وَطَّأَهُ تَوْطِئَةً، وَوَثَّرَهُ تَوْثِيراً، فِرَاشاً كَانَ أَو بِسَاطاً"[46] وعليه وإن كان وقع في منطقهم غير أنّه على الندرة غير مطّرد. وكذلك هي أصوات ما بين رأس اللسان والأسنان (**الصاد والزاي والسين**)

---

[36] نفسه. 4 / 114.
[37] سيبويه. 4 / 349.
[38] ابن الوراق، علل النحو: 232، والأشموني. 2/ 614.
[39] سيبويه: 4 / 333.
[40] ابن جني، سر صناعة الإعراب. 1 / 110.
[41] نفسه. 1 / 117.
[42] مكي، الكشف. 1 / 168.
[43] ابن منظور، معجم لسان العرب (فصل الباء الموحدة).
[44] ابن القطاع، كتاب الأفعال. 248/1.
[45] الزبيدي، تاج العروس. مادة (حضض).
[46] نفسه، مادة (أثث).

فـ(**الصاد**) يستثقل متواليا، ومع ذلك أثبتث المعجمات على ندرة ألفاظا توالي فيها (الصاد) ومنه قولهم: "مَصِصْتُ الشيءَ مَصّا وامْتَصَصْتُه وتمصَّصْتُه تَرَشَّفْتُه"[47] ونحو: الرّصصُ للبنيان واللَّصَصِ المحتجب[48]. ومنه أيضا قولهم: "صَصَصه، أي حَدَثه، لا يُعلَمُ في الأسماء غير ذلك"[49] و"صَصَّ يَصَصُّ صَصَصاً"[50] ومنه:"صَصَصُ الصَّبِيّ، وقَقَقُه: حَدَثُه، أهمله الجوهري وصاحب اللّسان وغالب من صنّف في اللّغة"[51] ونقول: إن كان ورد منه شيء؛ غير أنه مستثقل في النطق مستهجن. و(**الزاي**) أيضا يستثقل متواليا, كتب الزبيدي: "زَزَّ أهمله جمهور المصَنّفين في اللغة"[52] وقد أورد منه نفسه حرف واحد على الندرة "وهو قَوْلهم: زَزَزْتُه أَزُزُّه ززّاً، أَي صفعته"[53].

ومن شواهد استثقاله "الإوزّة وأصلها "إوزَزَة" ووزنها إفْعَلَة، ثم إنّهم كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، فاسكنوا الأول منهما، ونقلوا حركته إلى ما قبله، وأدغموه في الذي بعده، فصار إوزّة" قاله اللخمي في شرح الفصيح[54]. و(**السين**) كذلك يستثقل متواليا؛ ومنه قراءة (يمسَّكم) في (يمسسكم)[55] ومن شواهده ـ أيضا ـ قولهم "أحسْت ومسْت" إنّما أصلهما على البناء الأول "أفعلت" أي: "أحسست ومسست"، وقد عزاه سيبويه إلى الاستثقال والكراهة كتب في موضع من سفره: "أحست، ومست، وظلت، لما كثر في كلامهم كرهو التضعيف"[56] وإلى كراهة التضعيف عزاه ابن جني أيضا[57]. وكتب في موضع آخر: "أحسْت يريدون أحسَسْت وأحَسْن يريدون أحْسَسْن"[58]. وكتب أيضا: "والأصل في هذا عربي كثير وذلك قولك أحسست ومسس وظللت"[59]. ونعته في موضع آخر من الكتاب بالشاذ.

---

[47] ابن سيده، المحكموالمحيط الأعظم. 281/8.
[48] نفسه. 266/8.
[49] الزبيدي، تاج العروس. (باب صوص).
[50] نفسه.
[51] نفسه.
[52] نفسه، (باب زلز).
[53] نفسه، باب (صوص).
[54] اللخمي، شرح الفصيح: 163.
[55] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه. 182/2.
[56] سيبويه. 482/4.
[57] ابن جني، الخصائص. 21/3 و 440/2.
[58] سيبويه. 421/4.
[59] نفسه. 422/4.

كتب:" ومن الشاذ قولهم: أحست ومست وظلت لما كثر في كلامهم كرهو التضعيف"[60]. وعلى كلٍّ فإنّ حذفهم في "أحست ومست وظلت" خرقٌ لنظام اللغة في بنية اللفظ فوزن اللفظ "أفعلت" في "أحسست ومسست" و"فعلت" في ظللت" والحذف ههنا يخرج اللفظ عن بنيته ووزنه وفي ذلك مساس باللفظ وعليه نعته سيبويه بـ"الشاذ".

وكذلك أمر أصوات سطح اللسان ووسط الثنايا (**التاء والدال والطاء**) فـ(**التاء**) يستثقل متواليا لنفسه، وعلى هذا إذا جيء به علامة للمضارعة في فعل يبدأ بالتاء أصلا فقد يكتفى بتاء واحدة استثقالا للتوالي، وبديلا وسبيلا إلى الخفة، ومثال ذلك قولك: "تكلّمُ " و"تذكّرُ" و"تَنَاولُ، وتَلَوَّنُ"[61] ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ (هود: 105) فاكتفى بتاء واحدة والقياس فيه "تتكلم".

وفيه كتب سيبويه: "فإن التقت التاءان في تتكلمون وتتترسون، فأنت بالخيار، إن شئت أثبتهما، وإن شئت حذفت إحداهما: وتصديق ذلك قوله عز وجل: (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ) قوله جلّ وعلا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) وإن شئت حذفت التاء الثانية، وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها) وقوله: (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ) وكانت الثانية أولى بالحذف لأنّها هي التي تسكن وتدغم في قوله تعالى: (فَادَّارَأْتُمْ) و(ازينت) وهي التي يفعل بها ذلك في يذكرون. فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك"[62]. وكتب أيضا: "وإن شئت قلت في تتذكرون ونحوها: تذكرون، كما قلت: تكلمون، وهي قراءة أهل الكوفة فيما بلغنا"[63] وعليه قراءة الأعمش وطلحة وابن وثاب ومسروق وحمزة "تَسَاقَطُ" بفتح التاء وتخفيفِ السين وفتح القاف[64] والقياس "تَتَساقط بتاءين، مضارع تَساقَط فحذف حمزةُ إحدى التاءين تخفيفًا نحو: تَنَزَّلُ وتَذَكَّرون"[65] وهو ما نص عليه الزجاج كذلك، كتب: "ومنهم من قرأ تسَاقط بالتاء والتخفيف فإنه حذف التاء من تتساقط لاجتماع التاءين"[66]. ومن شواهده أيضا قوله عز وجل: ﴿ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: 3، والنمل: 62، والحاقة: 42).

---

[60] سيبويه. 482/4.
[61] الأنباري، الإنصاف. 2/ 648.
[62] سيبويه. 476/4.
[63] نفسه. 477/4.
[64] الزمخشري، الكشاف. 15/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 175/6 والحلبي، الدر المصون. 587/7.
[65] الحلبي، الدر المصون. 587/7.
[66] الزجاج، معاني القرآن. 326/3.

وفيه كتب الزجاج: "تذكرون الأصل تتذكرون؛ إلا أنه حذف إحدى التاءين، وهي التاء الثانية لأنهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال فلا يجوز حذفها، والثانية إنما أدخلت على معنى فعلت الشيء على تمهل، نحو تفهمت وتعلمت، أي أحدثت الشيء على مهل، وتدخل على معنى إظهار الشيء والحقيقة غيره، كقولك تقيست أي أظهرت أني قيسي، فإنما المحذوف من تتفعلون الثانية؛ لأن الباقي في الكلمة من تشديد العين من تفعل يدل على معنى الكلمة، ولو حذفت تاء الاستقبال لبطل معنى الاستقبال"[67]. ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النساء: 97) وفيه كتب الزجاج أيضا: " يجوز أن يكون على معنى الاستقبال على معنى أن الذين تتوفاهم الملائكة وحذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين"[68].

وكذلك (**الدال**) يستثقل متواليا كما يستثقل غيره من الأصوات، ولم تحكِ لنا معجمات اللغة ألفاظا توالت الدال فيها غير حرف واحد هو قولهم: "الدَّدُ والدَّدَن والدَّدَا، وهو اللهو اللّعِبُ[69]. واستثقال توالي (الدال) لنفسه هو من الأمثلة التي ساقها سيبويه وهي: "مُسْتَرِدٌّ ومُسْتَعِدٌّ ومُمِدٌّ ومُمَدٌّ ومُسْتَعَدٌّ، وإنّما الأصل مُسْتَعْدِدٌ ومُمْدِدٌ ومُسْتَعْدِدٌ وكذلك مُدَقٌّ والأصل مُدْقُقٌّ ومَردَّ وأصله مُرْدَدٌ"[70] وبه قال ابن جني في "يستعدّ في يستعدِد"[71]. وكذلك "مرتد" وقد نص على ذلك سيبويه. كتب: "وإن كان الذي قبل المسكن متحركاً تركته على حركته، وذلك قولك مرتدٌّ وأصله مرتددٌ كانت حركته أولى فتركته على حركته إذ لم تضطر إلى تحريكه"[72] ونظيره "مشتدّ" إذ أن أصله "مشتدِد" قال بذلك ابن جني في الخصائص[73]. وعن سيبويه: "وأمّا ما يكون "أفعل" فنحو: ألدّ وأشدّ، وإنّما الأصل ألدَدَ وأشدَدَ، ولكنّهم ألقوا عليها حركة المسكن وأجريت هذه الأسماء مجرى الأفعال في تحريك الساكن وإلزام الإدغام وترك المتحرك الذي قبل المدغم، وترك الألف التي قبل المدغم"[74].

---

[67] الزجاج، معاني القرآن. 316/2.

[68] نفسه. 94/2 .

69 الزبيدي، تاج العروس، باب (صوص) والفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل (الدال) 280/1، والهروي تهذيب اللغة، باب (الدال والنون) 49/14، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب (درد) 470/2، وابن فارس، مجمل اللغة، باب (الدال وما بعدها في المضاعف والمطابق) وابن فارس، مقاييس اللغة.266/2.

[70] سيبويه. 418/4.

[71] ابن جني، الخصائص. 257/1.

[72] سيبويه. 419/4.

[73] ابن جني، الخصائص. 141/3.

[74] سيبويه. 419/4.

ومثله من كراهية توالي (الدال) لنفسه: "شدّ ومدّ" ونحو ذلك إنّما أصلهما "فَعَل" أي "شَدَدَ ومَدَدَ" وقد فسره ابن جني على الطريقة بـ "اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد"[75]. وعندهم هو على إدغام السابق في اللاحق فصارا: "شدّ ومدّ"، وعندنا هو على حذف السابق والتعويض عنه بتضعيف اللاحق، ولا يضر الاختلاف في التعليل غذ الحكم واحد.

و(**الطاء**) كذلك يستثقل متواليا ولم يرد منه إلا لفظ واحد مختلف عليه هو "الحِمْطِطُ" وأهمله الجوهري، والصّواب عند الزبيدي "الحِطْمِطُ" بالمِيم بين الطاءين، وهو الصّغير من كلّ شيء[76]. ومن شواهده استثقاله متواليا قولهم: "قطٌّ" فعن أبي حيان أنّ الكسائي قال: "أصله قَطُطْ بضمّ الأولى وسكون الثانية، فسكنت الأولى وأدغمت وجعل الآخر على حركة الأول"[77] وقد يخفف اللفظ فيطرح أحد المثلين ولا يعوض كقولهم "قطِ" بالتخفيف[78]، وكذلك الأمر مع أصوات رأس اللسان وأول الثنايا (**اللام والراء والنون**) فـ (**اللام**) يستثقل توالية لنفسه، وقد وردت منه ألفاظ على الأصل المستثقل، ومنه قول شاعر[79]: (تشكو الوَجَى من أظلَلٍ وأظلِلِ)، وقوله أبي النجم العجلي[80]: (الحمد لله العليِّ الأجلِل)

وعند سيبويه هو على الأصل[81] ورده المبرد مرة إلى الأصل وأخرى إلى الاضطرار[82] وأحاله الفارسي إلى الأصل المرفوض[83] وقصره ابن السراج على الشعر[84] وعند ابن جني هو على "إجراء اللازم مُجرى غير اللازم من المنفصل"[85] وإلى الضرورة ذهب ابن عصفور والأشموني[86] وإلى الأصل ذهب العكبري[87].

---

[75] ابن جني، الخصائص. 163/1.
[76] الزبيدي، تاج العروس.207/19.
[77] أبو حيان، ارتشاف الضرب. 1425/3، والسيوطي، همع الهوامع. 216/2.
[78] أبو حيان، ارتشاف الضرب. 1426/3، والسيوطي، همع الهوامع. 216/2.
[79] سيبويه. 535/3، وابن جني، الخصائص.89/3.
[80] المبرد، المقتضب.142/1.
[81] سيبويه. 535/3.
[82] المبرد، المقتضب.142/1، و252/1.
[83] الفارسي، المسائل العضديات: 44.
[84] ابن السراج، الأصول في النحو. 441/3 - 442.
[85] ابن جني، الخصائص. 89/3.
[86] ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف: 413، وشرح الأشموني. 158/4.
[87] العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب. 99/2.

ومن أوجه استثقال توالي (**اللام**) ما كان في التركيب "مثل هذا قول بعضهم: "عَلْمَاء بنو فلانٍ، فحذف اللام، يريد: على الماء بنو فلانٍ" قاله سيبويه، ونعتها بأنّها عربية[88] حيث استثقل توالي اللام ولا اعتبار للمد والسكون؛ فكلاهما ليسا بحاجز، فحذف الأولى ووصل. ومنه أيضا قولهم: "أمليت" إنّما أصلها المستثقل "أمللت" قاله ابن جني في الخصائص[89] ومنه أيضا قولهم: "ظَلْت"[90] من "ظَلِلت أفعل كذا" إذا عملته بالنهار[91] حيث استثقل توالي اللام فحذف أحدهما وهو المحرك بالكسر؛ لثقل التوالي والكسر فصار "ظَلْت"[92].

و(**الراء**) كذلك يستثقل متواليا ومن شواهده قولهم: "إحرَّة في إحرَرَة و"إوزَّة في إوزَزَة" وكلتاهما "إفْعَلة" كتب فيه ابن جني: "كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، فأسكنوا الأول منهما، ونقلوا حركته إلى ما قبله، وأدغموه في الذي بعده"[93]. ومنه أيضا ما وقع في توالي (الراء) لنفسه كقولهم: "بارٌّ وأصله: بارِرٌ"[94] وعندهم أنه "أدغم لاجتماع المثلين"[95] والذي نطنه أنه حذف السابق؛ لا سيّما وأنه مكسور وفي ذلك ثقلة، وعوض عنه بالتشديد في اللاحق. ومنه "مرّ الشيء وأصله مرَرَ"[96] ومنه كذلك قولهم: "محمرّ و"أصله محمرِر"[97] ومنه في الراء قولهم: "خيرٌ منك، وشرٌ منك" فالأصل "أخير منك، وأشرر منك؛ إلا أنهم حذفوا الهمزة منهما لكثرة الاستعمال، وأدغموا إحدى الراءين في الأخرى من قولهم "شر منك" لئلا يجتمع حرفان متحركان من جنس واحد في كلمة واحدة؛ لأن ذلك مما يستثقل في كلامهم" قاله الأنباري[98]. ومنه ـ أيضاـ نحو:"قَرْنَ"وهي قراءة نافع وعاصم (وقَرْنَ في بيوتكن) وأصله المستثقل "قَرَرْن" حيث استثقل الراء متواليا لنفسه فحذف السابق لأمن اللبس بالفعل "قرَن" فصار "قرْنَ"[99].

---

[88] سيبويه. 485/4.
[89] ابن جني، الخصائص. 233/2 - 234.
[90] ابن جني، الخصائص.56/2، و440 و21/3.
[91] ابن عقيل، شرح ابن عقيل. 258/2.
[92] نفسه.
[93] ابن جني، سر صناعة الإعراب. 263/2.
[94] اللخمي، شرح الفصيح: 66.
[95] نفسه.
[96] نفسه: 100.
[97] ابن جني، الخصائص. 141/3.
[98] الأنباري، الإنصاف. 491/2.
[99] شرح ابن عقيل. 258/2.

و(**النون**) كذلك قد يستثقل توالية مع أنه بطبيعته صوت خفيف أصلا، ولطبيعته كان لـه وجهان: الحذف والتثبيت، ومنه شواهد الصيغتين قولهم: "ظَنْت في ظنَنْت"[100] فالمنطق في كثير من المواضع مخير فيه بين الاستغناء والإبقاء نحو: "إنّني" "إنّي" وفي كأنني "كأني" وفي لكنني "لكنّي" على الاختيار بديلا؛ فإن شئت اكتفيت بالأصل وإن شئت طرحت أحد النونات سعة، وفيه كتب سيبويه يورد قول الخليل: "فإن قلت: ما بال العرب قد قالت: إنّي وكأني ولعلي ولكني، فإنه زعم أن هذه الحروف اجتمع فيها أنها كثيرة في كلامهم، وأنهم يستثقلون في كلامهم التضعيف فلما كثر استعمالهم إياها مع تضعيف الحروف، حذفوا التي تلي الياء"[101] وعليه قول ابن جني من أنهم" كرهوا النون في إنّني"[102]. ومن شواهد بقاء الصيغة على أصلها قولهم: "ضَنِنْتُ بالشيء وضَنَنْتُ بَخِلْتُ"[103] قال شاعر[104]:

ضننْتُ بنفسى حِقْبةً ثم أصبحتْ لبنتِ عطاء بينُها وجميعها

وقال قعْنَبُ بن أمّ صاحب[105]:

مَهْلاً أَعاذِلَ قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضَنِنوا

وقد رده سيبويه إلى الأصل[106] وإليه ذهب المبرد في المقتضب[107] والفارسي إذ نعته بـ: "الأصل المرفوض في الكلام وحال السعة والاختيار[108]"، وكتب ابن السراج في الأصول: "يريدُ: ضنّوا[109]". ومرد ذلك أن توالت فيه ثلاث أصوات متجانسة "نونان ومد" "ضَنِنُوا" ولا غرو أن في ذلك استثقالا فأعرض المنطق البديل عنه إلى حذف "النون المكسور" لثقل التوالي والكسر وعوض عنه بالتشديد في النون الأخرى فصارت الصيغة البديلة "ضَنُّوا". وزبدة القول أن منطق العربية يستثقل على الوتيرة والعرف مبدأ التوالي والتكرار فينسحب عليه ما في غيره استثقال التكرار.

---

[100] ابن جني، الخصائص. 2 / 56 و 3 / 21.
[101] سيبويه: 2 / 369
[102] ابن جني، الخصائص. 1 / 93 – 94.
[103] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم.8 / 156.
[104] سيبويه. 2 / 152، وهو من الأبيات التي لم يعزها سيبويه.
[105] سيبويه. 1 / 29. و 3 / 535.
[106] نفسه.
[107] المبرد، المقتضب. 1 / 142.
[108] الفارسي، المسائل العضديات: 44.
[109] ابن السراج الأصول في النحو.3 / 431.

و(**الضاد**) كذلك (وهو حيز لوحده) يستثقل تواليه، ومع ذلك ورد منه: بَضَّضَ تَبْضِيضاً، إذا تنعّم: وابْتَضَضْتُ نفسي له ابتضاضا: استزدتها له؛ كائتضضْتُها وابتضضْتُ القوم: استَأْصلْتُهم[110] وتبضّضتُه: أخذت كلّ شيْءٍ له، وتَبضَّضتُ حقّي منْه: استنْظفْتُه قليلا قليلا[111]. ومنه أيضا "حضضت الرجلَ على الشَّيْء أحضّه حضا أي حرضته، وَالاسْم الحض مثل الضعْف وفيه لغتان: الحَضضُ، والحُضَضُ وهو دواء معروف[112]. ومنه "القضض: الحَصَا الصغار، والقضض: التُّرَاب يَعْلُو الْفراش"[113] ومع ذلك هو مستثقل.

وأصوات الحلق كذلك يستثقل كل منها متواليا لنفسه وهي: (الخاء والغين) لأدناه (والحاء والعين) لوسطه و(الهاء والهمزة) لأقصاه.

فـ(**الخاء**) مأبيٌّ تواليه لنفسه، ولم يؤثر عنهم لفظ توالى فيه (الخاء).

و(**الغين**) كذلك ممتنع أن يوالي نفسه، فليس في منطقهم "غغ" مطلقا.

و(**الحاء**) أيضا مستثقل متواليا، ولم يرد عنهم لفظ بتواليه غير لفظ واحد هو قولهم في غيرِ الضرورة: لَحِحْت عينه التصقت، وإنما الصواب لحّت عينه، قاله ابن جني في الخصائص[114].

و(**العين**) كذلك يستثقل تواليه إذ ليس في منطق العرب لفظ توالى فيه العين؛ لثقله ومخرجه.

و(**الهاء**) كذلك مستثقل تواليه، فإذا إذا كان وحده لا يعتمد عليه، فلا أحرى من يكون ذلك في تواليه؛ لضعفه وخفائه وهمسه؛ إلا أن يكون الأول علامة نحو: "هَهُنا" فليس ذلك بمعتبر.

ولم أجد في معجمات العربية من الألفاظ ما توالت فيه الهاء غير حرف واحد أورده الزبيدي في التاج؛ هو:"هَهَّ يَهَهُّ هَهَّةً"[115]، ومعنى "وهَهَّ يَهَهُّ، بالفتْحِ، هَهًّا وهَهَّةً: لَثُغَ واحْتَبَسَ لِسانُه"[116].

أمّا "هَهْ" كلمة تذكرة ووعيد وتحذير وحكاية لضَحِكِ الضَّاحِك[117] ولا اعتبار للتوالي ههنا لأن الهاء الثانية إنما علامة وقف؛ ليست من أصل اللفظ؛ أمّا تكرارها في نحو:"هه هه" فكلمة تقال للإبل إذا أردت لها أن تنطلق[118].

---

[110] الزبيدي، تاج العروس. مادة (بضض).
[111] نفسه.
[112] الأزدي، جمهرة اللغة. مادة (ح ظ ظ) 99/1، والزبيدي، تاج العروس. مادة (حضض).
[113] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم. 98/6.
[114] ابن جني، الخصائص. 330/1.
[115] الزبيدي، تاج العروس. (باب صوص).
[116] نفسه، باب (هوه).

ومن شواهد استثقال توالي (الهاء) لنفسه قول: "إذا تعلق بعامل واحد ضميران متواليان واتفقا في الغيبة وفي التذكير أو التأنيث، وفي الإفراد أو التثنية أو الجمع، ولم يكن الأول مرفوعا، وجب كون الثاني بلفظ الانفصال نحو: فأعطاه إياه، ولو قال: فأعطاهوه بالاتصال، لم يجز" وأردف يعلل وهو شاهد القول: "لما في ذلك من استثقال توالي المثلين"[119].

و**(الهمزة)** كذلك يستثقل تواليها؛ إذ هي بنحيزتها صوت ثقيل، وقد نصّ مكي على أنّها "على انفرادها حرف بعيد المخرج جلد صعب على لافظه به، بخلاف سائر الحروف، مع ما فيها من الجهر والقوة"[120] ونص في موضع آخر على استثقال توالية[121].

وبه قال سيبويه قبله فكتب: "اعلم أن الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بدٌّ من بدل الآخرة، ولا تخفف لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم التقاء الهمزتين الحرف"[122]، وكتب في موضع آخر أنَّ أناساً من العرب "يخففون إذا التقت الهمزتان"[123]، وإليه ذهب ابن السراج في الأصول[124].

وابن الوراق إذ كتب: "وجدنا العرب تستثقل الجمع بين همزتين، والثانية منهما أصل فتحذفهما جميعا، نحو قولك: خُذ وكُل وهما من أخذ، وأكل، فلما حذفت الهمزة الأصلية كان حذف الزائد لازما"[125].

وكتب ابن جني: "فأمّا أكرمَ يُكرم فلولا ما كُرِه من التقاء الهمزتين في أؤَكرم لو جيء بِه على أصله للزم أن يؤتى بزيادته فيه"[126] وكتب الأنباري: "وقالوا "أُكْرِمُ" والأصل فيه أُأَكْرِم، فحذفوا إحدى الهمزتين استثقالا لاجتماعهما"[127].

وكذلك هو أمر أصوات ما بين الحنك واللسان (**الجيم والشين والياء**).

---

[117] ابن عباد، المحيط/ في اللغة. 1 / 325. والهروي، تهذيب اللغة. (باب الهاء والجيم. 6 / 254). وابن سيده، (المحكم والمحيط الأعظم. 4 / 82). والزبيدي، تاج العروس. (باب هوه).

[118] ابن عباد، المحيط في اللغة. 1 / 325.

[119] ابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: 29.

[120] مكي بن أبي طالب، الكشف. 1 / 151-152.

[121] نفسه. 1 / 157.

[122] سيبويه. 3 / 552.

[123] نفسه. 3 / 553.

[124] ابن السراج، الأصول في النحو: 2 / 403.

[125] ابن الوراق، علل النحو: 747.

[126] ابن جني، الخصائص. 1 / 232.

[127] الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف. 239/1.

فأمّا (**الجيم**) فهو بطبيعته صوت مثقل لما فيه من الجهر والشدة، ولا غرو أن في كل أولئك ثقلة لاسيّما حين التوالي والتكرار، وعليه يستثقل منطق العرب الفصيح توالي الجيمات فيعمد إلى ما يسمونه "الإدغام" ومنه قولهم معوجّة "والأصل معوجِجَة فوقع الإدغام لاجتماع المثلين"[128].

و(**الشين**) أيضا يستثقل متواليا؛ إلا ما جاء على الندرة مما أورده ابن جني ووصفه بغير الضرورة وهو قولهم: "مشِشت الدابَّة"[129]، وعن ابن جن أنّ الصواب: "مشِت الدابة"[130].

و(**الياء**) أيضا ـ مع خفته ـ يستقل تواليه لنفسه، وقد نصّ سيبويه من قبل على أنّ "لا تجتمع الياءات" و"أنهم يحذفون أحدهما حين يجتمع ياءان" وأنّ "الياءان تستثقلان" وأن "اجتماع الياءات يكره"[131].

ومن شواهد استثقال توالى (الياء) لنفسه، ما أورده ابن السراج عن الخليل أن "حَيَوانٌ" قلبوا فيهِ الياءَ واوًا لئلا تجتمع ياءانِ استثقالا للحرفين من جنس واحدٍ يلتقِيان"[132]، ومنه أيضا: اختلاف لغات العرب في الحذف والإثبات نحو: "استحْيَيْت" و"استحَيْت" قاله ابن فارس في الصاحبي[133]. وكذلك أمر أصوات الحنك (الكاف والقاف) فأمّا (الكاف) فلم يرد في المعجمات لفظ توالى فيه إلا أن يكون الأول علامة تشبيه، فذلك ليس في الاعتبار، وكذلك (القاف) يستثقل متواليا؛ لاسيّما وهو بطبيعته صوت ثقيل؛ أما قولهم "قَعَد الصَّبيُّ على قَفَقِه!"[134] فقد نعته ابن منظور بقوله :"هو من الشّذوذ والضَّعف بحيث تراه"[135].

وعن ابن منظور أيضا أن الأزهري قال: "لم يجئ ثلاثة أَحرف من جنس واحد، فاؤُها وعينُها وَلامُها حرف واحد، إلا قولهم قعد الصبيّ على قَفَقِهِ وصَصَصِه أَيْ حدثِهِ"[136]. ومما جاء عنهم من توالي القاف قولهم: "أَقْبلُوا قِهٍ قِقٍ، إذا قَرْقَرُوا بالضّحك"[137]. وعن أبي علي القالي عن الفراء أيضا قوله: "يقال ما

---

[128] اللخمي، شرح الفصيح: 332.
[129] ابن جني، الخصائص. 330/1.
[130] نفسه. 330/1.
[131] سيبويه. 3 / 345 و487، و4 / 183 و 371.
[132] ابن السراج، الأصول في النحو: 3 / 385.
[133] ابن فارس. الصاحبي: 28.
[134] الزبيدي، تاج العروس، باب (صص) وباب (ق ل و) ، وابن منظور، لسان العرب (فصل القاف).
[135] ابن منظور، لسان العرب. (فصل القاف).
[136] نفسه.
[137] الهروي، تهذيب اللغة (باب الغين والدال).

زال منذ اليوم قق قق حكاية لصوت الضحك"[138]. وجاء منه أيضا العِقَقْ وهو النَّسْر[139] وتأمّل كيف هو مستثقل في اللسان، مستهجن في الأسماع.

الخاتمة

كان البحث في استثقال منطق العربية لتوالي الأصوات لنفسها في بنية الألفاظ، وقد أفضى إلى أن اللغة تنتهج مبدأ الخفّة والتيسير؛ على قيد أن لا التباس ولا مساس. وبما أنّ الأصوات مادة اللغة؛ فإنّ الاعتبار الدائم في بنية اللفظ وما يعتريه من تحولات، إنّما هو في الأصوات. فبالأصوات تبنى الألفاظ، وبتنافرها تستثقل، وبتآلفها تستخف وتقبل على الجزالة والاستحسان.

ومنطق العربية هو منطق التيسير والخفة كلما مسّت الحاجة، ودعت الأسباب. وعليه نبا المنطق عن مجاورة الصوت لنفسه، وما يسببه ذلك من سماجة، واستثقال فنأى عن ذلك إلى بدائلَ أصواتٍ كانت أو حركات طِوال. وذلك ما خلص إليه البحث، فلا يجاور الصوت نفسه إلاّ فيما ألفاظ معدودة نَدُر أن يحكيها المنطق، أو هي من المهملات. وخلص أيضا إلى نتائج واعتبارات منها أن هذا التوالي لا يضبطه قياس مطّرد بقدر ما يحكمه الاستعمال؛ لأنّ منطق العرب حرٌّ طليقٌ في كثير من الأحيان؛ لا تحدّه قاعدة، ولا تضبطه أحكام، فمنه ما تمسّ به الحاجة، ومنه ما يكون على الحرية والاختيار. وخلص أيضا أن السبيل من حالة التوالي هذه قد يكون بالاستغناء عن الصوت السابق أو الصوت اللاحق، والضابط في ذلك اجتناب المساس بالمعنى والالتباس، والغاية الجزالة والاستحسان. وخُلص أيضا إلى أنّ تشديد الصوت الباقي في اللفظ هو السبيل للتعويض عن المحذوف. وخُلص أيضا إلى أن أكثر الأصوات الذي يستدعيه المنطق بديلا في مواضع الحذف هو صوت (الياء) وقد يؤتى بـ (النون) في حالات يستثقل فيها (الياء) كما في (إجحاص وإنجاص).

وعليه استثقل المنطق الصوت يجاور نفسه فاستثقل توالي (الباء) مع خفته في الأصوات، ولم يقف البحق على لفظ توالى فيه الباء غير لفظ واحد هو "ببّة أو ببّابا" وليس بقياس. واستثقل كذلك توالي (الفاء) ولم يرد منه لفظ على التوالي غير لفظ واحد صححه سيبويه وهو "ضفِفوا" والصحيح عنده "ضفّوا". واستثقل المنطق كذلك توالي (الميم) فلم تحكِ لنا المعجمات ألفاظا توالى فيه (الميم) على الإطلاق. واستثقل المنطق توالي (الواو) ولا غرو فهو من أثقل الأصوات. واستثقل كذلك توالي (الذال) فلم تنقل إلينا معجمات اللغة لفظا توالى فيه الذال إلا حرفا

[138] أبو علي القالي، البارع في اللغة: 523.
[139] الزبيدي، تاج العروس. مادة (عقق).

واحدا هو: بَذِذْتَ تَبَذُّ بَذَذاً" وعليه هو لفظ فرد غير مشاع. واستثقل كذلك توالي (الثاء) وإن كان وقع في منطقهم غير أنّه على الندرة غير مطّرد، وكذلك (الظاء) إلا ألفاظا وردت على الندرة والإهمال. واستثقل كذلك توالي أصوات الصفير لنفسها (السين والزاي والصاد) فليس في المنطق "سس أو زز أو صص". واستثقل كذلك توالي (التاء) مع أنه رخو مهموس خفيف؛ غير أنه استثقل كما استثقلا صنواه في الحيز (الدال والطاء). و(اللام) كذلك استثقل أن يجاور نفسه، ومثله قسيمه في الحيز (الراء) فلم أقف على شيء منه في المعجمات، وكذلك (النون) فرعهما الثالث في الحيز فهو على خفته قد يستثقل تواليه لنفسه. و(الضاد) كذلك مستثقل تواليه، ولا غرو فهو بطبيعته من أثقل الأصوات. وكذلك الأمر مع أصوات أدنى الحلق (الحاء والعين) ووسطه (الخاء والغين) وأقصاه (الهاء والهمزة) فكل منها يستثقل تواليه. وكذلك هو أمر أصوات الحنك واللسان (الجيم والشين والياء). وعلى ذلك أمر (القاف والكاف) فينسحب عليهما ما ينسحب على غيرهما من استثقال التوالي والتكرار.

تلك هي كانت خاتمة البحث ومنتهاه، وزبدته أن منطق العرب الفصيح ينأى عن مجاورة الأصوات الصحاح نفسها- وما ورد من ذلك فإنما هو على الأصل المستثقل أو الندرة أو الإهمال. وأن الحمد لله الذي بنعمته تتم الأعمال.

المصادر والمراجع

- أحمد دولة محمد الأمين. شرح ابن إياز على تصريف ابن مالك، المسمى إيجاز التعريف في علم التصريف تحقيق: د. حماد حمزة البحيري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1411هـ / 1990م.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: 395هـ). الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية، (بلا ت).
- مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ / 1986م.
- معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ / 1979م.
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (بلا ت).
- أبو إسحاق ابراهيم بن السري الزجاج. معاني القرآن واعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م.
- أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله. اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1995م.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1430هـ / 2009م.
- أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ). الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (بلا ت).
- بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، قدم له ووضع هوامشه، الدكتور إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة السابعة، 2010م.
- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، كمال الدين الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت 1419هـ / 1998م.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ). جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م
- أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ). الأصول في النحو تحقيق: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، بيروت، (بلا ت).
- الأشموني. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، (د ت).

- الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ). ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية، مكة المكرمة، 1979م.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]. المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م.
- أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق المتوفى سنة 381 هـ. علل النحو، تحقيق: محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ). غريب الحديث، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ. البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، 1418هـ / 1998م.
- أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي. المسائل العضديات، ، تحقيق: علي المنصوري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
- أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى (المتوفى: 356هـ). البارع في اللغة، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1975م.
- علي بن جعفر بن علي السعدي، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: 515هـ). كتاب الأفعال، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1403هـ / 1983م.
- علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور (المتوفى: 669هـ). الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.
- أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (بلا ت).
- علي بن محمد بن العباس أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1998م.
- أبو الفتح عثمان ابن جني. الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الخامسة، القاهرة، 2010م.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد إسماعيل، وأحمد عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1428هـ / 2007م.

- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ). تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين (المتوفى: 686هـ). شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام 1093 من الهجرة. تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ / 1975م.
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بلا ت).
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (د ت).
- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ). المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا ت.
- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ / 2001م.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، 1426هـ / 2005م.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1998م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، (بلا ت).
- الاقتراح في أصول النحو وجدله، تحقيق: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح) دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1409هـ / 1989م.

- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة، 1407هـ / 1987م.
- ابن هشام اللخمي (المتوفى: 577 هجري). شرح الفصيح، دراسة وتحقيق: الدكتور مهدي عبيد جاسم، وزارة الثقافة والإعلام دائرة الآثار، الطبعة الأولى، 1409هـ / 1988م.